

كلمة البروفسور سليم دكّاش اليسوعيّ، رئيس جامعة القديس يوسف في بيروت في افتتاح المؤتمر الدوليّ "إعادة إحياء البيئة في منطقة حوض البحر المتوسطّ : فرص وتحديات"، يوم الأربعاء 14 تشرين الأول أكتوبر 2015، في قاعة فرانسوا باسيل.

إنّه لمن دواعي شعوري بالفخر والاحترام أن أتوجه إليكم لأرحّب بكم في جامعتنا في حفل افتتاح مؤتمرنا الدوليّ هذا حول "إعادة إحياء البيئة في منطقة حوض البحر الأبيض المتوسطّ: فرص وتحديات" في إطار المشروع الأوروبيّ ECOPLANTMED. بلغة أكثر علميّة، يتناول هذا المؤتمر إعادة إحياء النظم البيئيّة لأحوال السكّنى النموذجيّة في البحر الأبيض المتوسطّ والاهتمام باستخدام النبات المتوطن.

أيّها الأصدقاء الأعزّاء، إن بحرنا، بحسب فرناند بروديل، المؤرّخ المتخصّص في قضايا البحر الأبيض المتوسطّ، شبيهة ب"ألف شيء في آن معاً. فهو ليس منظراً طبيعيّاً فحسب بل مناظر طبيعيّة لا تُعدّ ولا تحصى. هو ليس بحرّاً فحسب ولكن سلسلة من البحار".

حوض البحر المتوسطّ عبارة عن بحر، وتاريخ، وأسطورة، ومركز ثقافيّ، وحدود ومفترق طرق إنّه فسيفساء من المساكن والسكّان، وتشكّل فيه الحالات المناخيّة والسلاسل الجبليّة المتنوّعة بيئة متغيّرة باستمرار.

ولكن ما يُضفي خصوصيّة أصيلة على منطقة البحر الأبيض المتوسطّ هو أنّ اسمها يوحي بالزعر وإكليل الجبل والخزامى والريحان والكمّون وكذلك الأمر بأشجار الزيتون والعديد من الأشجار الجميلة المتنوّعة التي لا نجدّها في أيّ مكانٍ آخر ... إنّ بحرنا الذي يُعتبّر مهذاً لحضارات عدّة، هو ذلك الجمال السحريّ الذي يستقطب أكثر من مئتي مليون سائحٍ وحتى أكثر عندما يسود السلام على كلّ شواطئه ...

بالفعل، هناك ثنائيّة على شواطئه منتشرة في كلّ مكان تختبر الحياة ونوعيّة حياة سكّان البحر الأبيض المتوسطّ لأنّ إنساننا يتعمّ بطبيعة الخلق ولكنّه يعاني أيضاً من تدمير التنوّع البيولوجيّ فيه. ومن المعروف أنّ الأنثروبوسين هي حقبة من تاريخ الأرض تعكس تأثير الأنشطة البشريّة على نظمنا

الإيكولوجية (البيئية). وتُترجم هذه الحقبة في منطقة البحر الأبيض المتوسط بالشح في الثروة الحيوانية والنباتية من خلال تدهور لا رجعة فيه لمناظرها الطبيعية.

وهذا هو السبب الذي يحتم علينا أن نفكر في عملية إنقاذ. يجب على زورو أن يعود. فاستعادة النظم الإيكولوجية تمثل تحديًا، ففي بعض الأحيان لا يكفي أن يتوقف التدمير البيئي لكي تتجدد الطبيعة.... لا بد أن تأثير هذا التدمير استمرّ طويلًا جدًا حتى أصبح من غير الممكن العودة إلى الحالة السابقة. من هنا وجوب إعطاء دفعة إلى الأمام لتحقيق إعادة إحياء البيئة ...

في هذا الاتجاه، تبدو برامج إعادة إحياء النظم البيئية أمرًا واجبًا ولا بدّ منه اليوم. الأمر لا يتعلق بابتكار وظائف جديدة ولكن وضع تكنولوجيا اليوم في خدمة الطبيعة كأفضل اقتداء لما تحقّقه تلك الطبيعة بعفوية ومجانية إذا أعطيناها الوقت الكافي لذلك

وتتحقّق اليوم إعادة إحياء البيئة هذه على مستوى البحث العلمي ولكن أيضًا على المستوى العملي عن طريق برنامج ECOPLANTMED. كما أطلقت وزارة الزراعة اللبنانية برنامجها "40 مليون شجرة" لزرعها في لبنان كون الوزارة متشبّثة بهذا المبدأ. في تسلسل الأمور هذا، قد يكون من الحكمة أن نلاحظ أنّ أحد النتائج الرئيسية لمشروع ECOPLANTMED وموقعه القيادي الذي تمّ إنشاؤه في لبنان في كفرزيبان يكمن في إيجاد أفضل طريقة لإعادة بناء هذه النظم الإيكولوجية في الجبال العالية عن طريق زرع الأشجار الأصلية المتوطنة ومنها أشجار الأرز والعرعر لمساعدة برنامج الوزارة على اتّخاذ الخيارات الصحيحة.

في النهاية، لا يسعني إلا أن أحيي كلّ العلماء الناطقين باللّغة الفرنسية والعلماء غير الفرنكوفونيين الذين يشاركون في هذا المؤتمر الدوليّ. كيف لا نحیی هذا المؤتمر الذي يبدأ هذا العمل الرائع الذي يتحقّق بفضل الجهود المستمرة، وأنا أشهد عليها، للسيدة الدكتورة ماجدة بو داغر خزّاط وزملائها من كلية العلوم في جامعة القديس يوسف !

لا يسعني إلا أن أتمنى لمؤتمرنا نجاحًا كبيرًا بغية تقدّم مشاريع غرس أشجار جبلية في منطقة البحر الأبيض المتوسط وأن يكالّ اللون الأخضر مع الأبيض قمم جبالنا ومرتفعاتنا. هذا يتعلّق بحيوية نظامنا البيئيّ وأجيالنا الجديدة القادمة. في قرن تعصف فيه رياح العنف وتنفضى فيه مشاكل النفايات، يكمن ملجأنا

في الطبيعة، وسلامنا نتنفسه مع الأوكسجين النقي، وصمودنا وعملنا المفرط يتحققان في غرس وإعادة إحياء مناطقنا.

أيها الأصدقاء الأعزّاء، أيّها السادة والسيدات ، في رسالته حول البيئة، يدعونا قداسة البابا فرنسيس ليس للحفاظ على الأرض ونباتاتها فحسب، ولكن للقيام بأعمال ثورة ثقافية وفكرية وروحية من أجل احترام هذه الهبة التي لا يمكن تخيلها وهي الأرض والحياة على الأرض بحيث تستمرّ هذه الهبة ويتمّ الاحتفاظ بها لإخواننا وأخواتنا الذين سيأتون من بعدنا. فلنكن إذن جديرين بأن نكون أولاد الأرض.